المشوار

هنا عمَّان

بدأ مشواري الإعلاميُّ مع بدايات عام ١٩٥٨م. وحدث ذلك عندما اضطُررتُ إلى العَودة إلى عمَّان إثرَ إصابتي بخَلْعٍ في الكتف جرَّاء وقوعي من طابَقٍ ثانٍ، وذلك في أثناء فترة تدريبٍ عمليٍّ لطلَّاب الهندسة المعماريَّة في جامعة ميونخ للتكنولوجيا في ألمانيا. حصلتُ على تقريرٍ طبِّيٍّ للعلاج لمدَّة ثلاثة أشهر وفضَّل والدايَ أن أُمضي هذه الفترةَ في عمَّان لأتمتَّعَ برعاية العائلة.

كان أخي الأكبر سليم إسماعيل (هكذا كان يُعرف) يعملُ مديرًا للبرامج في إذاعة "هنا عمَّان" التي اتَّخذَتْ من دارةٍ مشرفةٍ في جبل الحسين مقرًّا لها. زرتُه في أحَدِ الأيَّام، وما إنْ رآني مديرُ الإذاعة بالوكالة سري عويضة، وسمعَ صَوتي حتَّى عرضَ عليَّ إجراءَ تجرِبةٍ صَوتيَّة. نجحْتُ فيها فعهِد بتَدريبي إلى أخي ورئيس البرامج الخاصَّة مرشد سعيد. وما هي إلَّا فترة قصيرة حتَّى جلستُ أمام الميكرفون بصفتي مذيعَ رَبْطٍ بين فِقْرات البرامج التي كانت تبدأ في الساعة السادسة صباحًا وحتَّى العاشرة ليلًا. أحبَبْتُ عملي "النجوميَّ" كما كان يَصِفُني أبناء حارتنا ومعارف أهلي، حيث كان المذيعون نجومًا معروفين بتَميُّز أصواتهم. مضَتْ أشهرُ العلاج الثلاثة، ولم أَعُدْ إلى ألمانيا لمتابعة دراسة الهندسة بعد ذلك.

"إذاعةُ الاتِّحاد العربيِّ من عمَّان. خيرُ ما نستَهلُّ به برامجَنا لهذا اليوم القرآن الكريم. الشيخ عبد الله يوسف يتلو علينا ما يتيسَّرُ من قِصارِ السُّوَر". من هنا كانت البدايةُ التي غيَّرتْ مجرى حياتي. كان الأردنُّ والعراق قد أقاما اتِّحادًا بينهما ضمن ما كان يُعرَفُ بحِلْفِ بغداد، ردًّا على الوَحدة التي أقامَها جمال عبد الناصر وشكري القُوَّتلي ما بين مصر وسورية في شباط/فبراير من عام ١٩٥٨م،

تحت مُسمَّى الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة. لم يعمِّرِ الاتِّحادُ العربيُّ أكثر من ستَّة شهور على إثر انقلابِ الرابع عشر من تمُّوز/يوليو عام ١٩٥٨م في العراق، فعادت الإذاعة إلى مسمَّاها القديم: هنا عمَّان.

كان من الذين عملتُ معهم في إذاعة جبل الحسين: إسحاق وسليمان المشِّيني، وناديم ناصر، ومديحة المدفعي، وهند التونُسي، وسمير مطاوع، وغالب الحديدي، وعرفات حجازي، وإبراهيم الذهبي، وعبد القادر الكردي، وعبد الغني القصَّاب ومرشد سعيد ومحمَّد ماضي القاضي وآخرون، سبقَنا بعضهم إلى الدار الآخرة، فالرحمة على أرواحهم، وطول البقاء لمن ما يزالون على قَيد الحياة.

إذاعةُ المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة

في الأوَّل من آذار/مارس ١٩٥٩م، انتقَلْنا إلى موقع الإذاعة الحاليِّ في أم الحيران برئاسة عبد المنعم الرفاعي. وانضمَّ كادرُ إذاعةِ القدس إلى إذاعة عمَّان، ومنهم: عائشة التيجاني، ومحمود الشاهد، وسلوى عنقود حداد، وعدلي المهتدي، وصارَتِ التسميةُ: "إذاعة المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة من عمَّان والقدس".

استمرَّتْ إذاعةُ القدس تَبُثُّ أيضًا البرامجَ باللغة الإنكليزيَّة على مَوجةٍ إضافيَّة. وبعد ستَّة شهور، عُيِّن وصفي التل مديرًا عامًّا للإذاعة خلفًا لعبد المنعم الرفاعي. التحقَ بالإذاعة عند انتقالنا إلى أم الحيران عددٌ من الزملاء أمثال عمر الخطيب وطارق مصاروة وعبد الرحيم عمر وخالد الساكت، وكان صلاح أبو زيد قد أنهى بعثةً إلى جامعة سيراكيوز في الولايات المتَّحدة، ليعودَ مديرًا لدائرة

البرامج، فيما صار محمود الشريف مديرًا لدائرة الأخبار، وسري عويضة رئيسًا لقسم المنوَّعات، وإنعام المفتي رئيسةً لقسم المرأة والطفل.

عملتُ لفترةٍ في قسم المنوَّعات حيث قدَّمتُ برنامجَ ''من أغانينا'' الذي يحكي قصصَ مَولدِ مجموعةٍ من الأغاني الأردنيَّة التي أُطلِقَتْ في تلك الأيَّام، وكانت تلقى اهتمامًا خاصًّا من وصفي التل. كان رشيد زيد الكيلاني يكتبُ معظمَ كلماتها أو يصيغ كلماتٍ جديدة، وكانت سميرة توفيق تؤدِّي معظمَها، ونذكر من تلك الأغاني ''يالمِرْتِكي عالسِّيف''، و''أسمر يا خفيف الروح''، و''يا هلا بالضِّيف''، و''يالله صُبُّوا هالقهوة''، بالإضافة إلى سلوى زوجة جميل العاص، وعددٍ من المغنِّين والمغنِّيات. لم يَدُمْ بقائي طويلًا في قسم المنوَّعات، إذِ انتقلتُ إلى دائرة الأخبار وظللتُ في هذا المجال طَوال مهنتي الإعلاميَّة الإذاعيَّة، ومن ثَمَّ التلفزيونيَّة. وبعد ذلك حدثَ تحوُّل مهمٌّ في مسيرتي المهنيَّة في منتصف عام ١٩٥٩م.

إذاعة الأهواز

في أثناء زيارةٍ قام بها شاه إيران محمَّد رضا بهلوي إلى الأردنِّ أواخرَ عام ١٩٥٩م، اتُّفِقَ على الاستعانة بمذيعين أردنيِّين للعمل في إذاعة ناطقةٍ باللُّغة العربيَّة في مدينة الأهواز وسط غرب إيران، المتاخمة للعراق ودول الخليج، وكان يجري العملُ على زيادة قوَّة إرسالها لتَصِلَ إلى مئة كيلوواط.

وقعَ الاختيار عليَّ، رغم وُجود مَن هم أكفأ منِّي. وغادرتُ عمَّان إلى طهران في النصف الثاني من عام ١٩٦٠م بعد صدور كتابِ انتدابي موَقَّعًا من وصفي التل، المدير العامِّ للإذاعة، ومهورًا بموافَقةِ هزَّاع المجالي رئيس الوزراء، الذي شهدَتْ فترةُ

رئاسته تطوُّرًا في الإعلام، وكان هو مَنِ اختارَ وصفي التل ليتولَّى منصب المدير العامِّ للإذاعة، إضافةً إلى إدارة التوجيه الوطنيّ، التي استحدثت حينها، باتتْ تُعرَف بوزارة الإعلام في النصف الأوَّل من ستِّينيَّات القرن العشرين.

أمضَيتُ بضعةَ أيَّام في طهرانَ لإتمام الإجراءات الإداريَّة، مثل توقيع عقد العمل، وتهيئة مسكنٍ لي في الأهواز، وتبادُلِ الأحاديث "الوُدِّيَّة" مع المسؤول عن الإذاعات الخارجيَّة محمَّد علي أفسر. كان معظمُ الحديث مُنصبًّا على أصولي، وما إذا كان لها امتدادٌ فارسيّ. لم أنفِ ذلك أو أؤكِّدْه، لا سيَّما بعد أنِ اطَّلعتُ على الراتب الذي كان يعادلُ مئةً وخمسين دينارًا أردنيًّا، قياسًا بثمانيةٍ وعشرين دينارًا كنتُ أتقاضاها في الإذاعة الأردنيَّة، إضافةً إلى المزايا الأُخرى، مثل منزل مؤثَّثٍ بالكامل، وجميع نفقاته بما في ذلك مكيِّفاتُ الهواء، التي كانت تُعدُّ من وسائل الرفاهية في ذلك الحين.

وصلتُ إلى الأهواز واستقبَلَني مديرُ إذاعتها السيِّد واعظي، الذي أقامَ مأدبةَ عشاءٍ في حديقةِ فندق پارك في شارع بهلوي، أكبر فنادق المدينة آنذاك. كان من بين المدعوِّين اثنان علمْتُ أنَّهما لبنانيَّان شيعيَّان، كانا قد أمضَيا فترةً تجريبيَّةً في القسم العربيِّ في الإذاعة، ولم تَأتِ الموافقةُ على بقائهما. ورُغمَ أنَّه لم يتحدَّثْ أحَدٌ لا في طهرانَ ولا في الأهواز بشأن مذهَبي، فإنِّي كنتُ أحظى بمعامَلةٍ خاصَّةٍ بسبب اسم عائلتي: شاهزاده (يعني الأمير) و"أصولي الفارسيَّة". ولمَّا كانَتْ كلمةُ شاهزاده مَقصورةً فقط على العائلة الإمبراطوريَّة، فكانوا يدعونني "باَغاي شازاده"، أيِ السيِّد شازاده، وهو اسمٌ لا معنى له.

لم تمضِ فترةٌ طويلة حتَّى تقرَّرَ زيادةُ ساعاتِ بثِّ البرامج العربيَّة، ممَّا تطلَّبَ مُذيعًا آخرَ ليُساعِدَني. فاتَّصلَ بي السيِّد محمَّد علي أفسر ليسألَني عمَّن أرشِّحُ من مذيعين أردنيِّين، معلِّلًا ذلك بسلامةِ نُطقِهم ولكنَتِهم. اقترحتُ عددًا من

زملائي في الإذاعة الأردنيَّة مثل إبراهيم الذهبي وعبد القادر الكردي وغيرهما، فكان يستفسرُ منِّي عن أصولهم ومذاهِبِهم ، فَلَم يَرُقْه أحَدٌ منهم إلَّا إحسان علم، بعد أن علم أنَّه من مسيحيِّي بيت لحم في فِلَسطين. وبعد مدَّةٍ وجيزة، التَحقَ بي إحسان علم في النصف الأوَّلِ من شهر أيلول/سبتمبر، أي بعد نحو أسبوعَين من اغتيال المرحوم هزَّاع المجالي.

كان سروري بالغًا عندما انضمَّ إليَّ إحسان الذي كانت تربِطُني به صداقةٌ قويَّة. وقد شكَّلَ وُجودُ إحسان منعطفًا كبيرًا في مسيرتي في إيران. كنتُ قبلَ التحاقه بي قليلَ الاحتكاك بموظَّفي الإذاعة من مترجمين ومُعدِّين إيرانيِّين يُتقِنون إلى حدٍّ ما اللغةَ العربيَّة، كما كنتُ قليلَ التجوُّل في الأهواز ومحيطها، ولم أكُنْ أغادرُ عَمَلي أو منزلي إلَّا لِشِراء احتياجاتي المعيشيَّة. تشاركْتُ مع إحسان في شراءِ سيَّارةٍ خاصَّةٍ بنا لاستعمالها في مشاويرنا، ممَّا أعطانا حرِّيَّة التنقُّل على نحوٍ أيسر.

التَقَينا ذات يوم في أحَدِ الأسواق سيِّدةً تبيَّن لنا أنَّها أردنيَّةُ الأصل ومن آل خبَّاز في الزرقاء تُدعى ليلى، وهي مُتزوِّجةٌ من خبيرِ إنشاءاتِ مَصافي نَفطٍ بريطانيٍّ يُدعى جورج إدواردز. بعد أن تعارَفْنا وعَلِمَتْ أنِّي أيضًا من مواليد الزرقاء، دَعَتْنا وزوجُها لزيارتهما في منزلهما بعد أن زوَّدانا بالعنوان.

توجَّهتُ بعد بضعة أيَّام مع إحسان إلى منزل ليلى وجورج، الذي كان يقعُ في ضاحية اسمها غولستان، أي أرض الورود. كانت الضاحيةُ اسمًا على مُسمًّى، يسكنُها خبراءُ أجانب وأثرياء إيرانيُّون، ويتوسَّطُ الضاحيةَ نادٍ فخمٌ فيه مرافقُ عديدةٌ من صالاتِ احتفالاتٍ وطاولاتِ بلياردو وسنوكر وحوضِ سباحة وغيرِها من المرافق. توسَّط لنا جورج إدواردز، فَصِرتُ وإحسان عضوَين في ذلك النادي. كنَّا كلَّما توجَّهنا إلى منزل ليلى وجورج أو إلى النادي، نمرُّ بقَريةٍ مُزرِيةٍ يبدو على

ساكنيها الفقر، تُدعى لشكر أباد، أي أرض العسكر، علمتُ أنَّ كلَّ سكَّانها من أصحاب الأرض الأصليِّين الذين حُرموا أبسطَ مُقوِّماتِ الحياة الكريمة، من صحَّةٍ وتعليمٍ وعَيشٍ كريم، وكان بعضٌ من أهل تلك القرية يعمَلون في الإذاعة، وفي بعض المنشآت الأُخرى بصفةِ عمَّالِ نظافةٍ أو خَدَم. وحفزَتْني الهوَّةُ السحيقةُ ما بين حال أرض الورود (غولستان) وأرض العسكر (لشكر آباد) أن أُقدِم على تعرُّفِ المنطقة وسكَّانها على نحوٍ أكبر.

كانت الأهواز تُسمَّى ''أحواض'' أو ''أحواز'' بسبب عدم تَمكُّنِ أهل المنطقة من لفظ حرف الضَّاد، وقد كانت عاصمةً لمشيَخةِ عربستان، أي بلاد العرب، ويحكمُها الشيخ خزعل بن جابر الكعبي أمير الأحواز والمحمَّرة الذي تعود أصولُه إلى قبيلةِ هوزان القيسيَّة المُضَريَّة العدنانيَّة. وفي مستهلِّ عصر الدولة البهلويَّة، احتُلَّتِ الإمارةُ وتبدَّلَ اسمُها لتَصيرَ خوزستان عام ١٩٢٥م، ثمَّ تخلَّص رضا بهلوي- والدُ آخرِ شاهٍ لإيران- من الشيخَ خزعل عبرَ دسِّ السمِّ له. من ثَمَّ اتَّخذَ البهلَويُّون عدَّةَ إجراءاتٍ منها أنْ حاوَلوا تَفريغ أهلِ المنطقة الشرعيِّين واستبدَلوا بهم إيرانيِّين من القطاع العامِّ من خلال إغرائهم بزيادة رواتبهم بمقدار ثلاثة أضعاف، تحت مُسمَّى علاوة ''سوء الماء والهواء'' (باد آب وهوا)، وتحريم التحدُّثِ باللُّغة العربيَّة في الأماكن العامَّة، واقتصار المناهج المدرسيَّة على اللغة الفارسيَّة فقط، إضافةً إلى غيرها من الإجراءات.

نشأتْ بيني وبين أحد المترجمين معنا في الإذاعة علاقةُ وُدٍّ مُتَبادَلة لِما يتمتَّعُ به من ذكاءٍ وثقافةٍ عالية، وكنتُ أرى فيه شخصًا وديعًا. دعاني في أحَدِ الأيَّام إلى بيته المتواضع، وكانت هناك مجموعةٌ من المدعوِّين. لَمَّا أَنِسوا لي وأَنِسْتُ لهم، تبيَّن لي أنَّهم من أهل عربستان بل من ثُوَّارِها. تكرَّرتْ لقاءاتُنا لمعرفة المزيد عن المنطقة وأهلها. وإذ تَعاطَفتُ مع قضيَّتهم، ساعدتُ في تمرير معلوماتٍ لبَرنامَجٍ إذاعيٍّ يقدِّمُه

عبد الهادي البكَّار من صَوت العرب في القاهرة تحت عنوان عربستان، وكان يتناوَلُ فيه أطماعَ إيران التوسُّعيَّة، لا سيَّما في البحرين وجزر أبو موسى والطنبين الكبرى والصغرى. وفي الوقت نفسه، استمرَّت علاقتي بالمسؤولين الإيرانيِّين، لا سيَّما بعد أن عُيِّنتُ رئيسًا للقسم العربيِّ في الإذاعة (سربرست برنامهاي عربي)، ودخلتُ المجتمعاتِ الإيرانيَّةَ المخمَليَّةَ من أوسَع أبوابها، فرأيتُ أنَّ لدى أغلبهم كرهًا شديدًا للعَرب.

وتبيَّن لي من التجربة أيضًا أنَّ عددًا كبيرًا من الإيرانيِّين ما زالوا يكنُّون للعرب ضغينةً وحقدًا دفينًا من جرَّاء هزيمةِ رُستُم في معركة القادسيَّة (عام ٦٣٦م). حتَّى عندما كنتُ أدرسُ الأدبَ المقارَن في جامعة جندي شابور في الأهواز، كان التركيزُ على الأُدَباء والعُلَماء والشُّعَراء العرب الذين تمتَدُّ جذورُهم إلى الفُرْس مثل الأصفهانيّ، والخوارزميّ، وعمر الخيَّام وغيرهم. وكنت أُدهش إذ يختارُ الأساتذةُ في محاضَراتهم ما يُسيءُ إلى العَرَبِ من الأُدَباء الفُرْس القُدامى مثل الفِرْدَوسيّ، وحافظ الشيرازيّ، وخسرو. وأذكُرُ للفِرْدَوسيِّ فِقرةً في ديوانه المعروف بالشاهنامة يحتَجُّ فيها على الظُّلم الإلهيِّ بسبب تخليص الإسلام للفُرْس من المجوسيَّة قائلًا: "لقد بلغَ بهم الأمر [يقصد العربَ] بِشُربِ لَبنِ الإبل وأكلِ الضِّباع، فأُفٍّ لكِ أيَّتها السَّماء". كما أذكرُ فِقرةً للشاعر الفارسيِّ ناصر خسرو في ديوانه السفرنامة تَصِفُ العربَ باللُّصوص والجياع والمجرمين والجَهَلة والعُراة. وقوله في سعدٍ بن أبي وقَّاص: "على مَن تنشد الانتصار أيُّها القائد العربيّ؟ العارُ لجَيشِ العار، من حليب النوق والسحالي جِئتُم إلى هنا، للإطاحةِ بعَرش كِياني. أليس في وجوهكم بعضٌ من الحياء؟".

امتدَّتْ مرَّةً أُخرى ساعاتُ البثِّ باللغة العربيَّة بسبب تدخُّل الجيش المصريِّ في حرب اليمن عام ١٩٦٢م، وكانت العلاقات في أدنى مستوياتها

ما بين طهرانَ والقاهرة، وبِتْنا نحتاجُ إلى مزيدٍ من المذيعين. وفَّرتُ هذه المرَّةَ الوقتَ والجَهدَ على مشرف الإذاعات الخارجيَّة محمَّد علي أفسر، فاقترحْتُ عليه إميل حدَّاد ، وكان مذيعًا جديدًا في الإذعة الأردنيَّة، وذكرْتُ له أنَّه من إخواننا المسيحيِّين من بلدة المفرق، فسرعانَ ما وافق عليه. والتحق بنا إميل بعد أقلَّ من أسبوعَين.

حتَّى بعد أن غادرتُ أنا وإحسان الأهواز، استُبدِلَ بنا مذيعان هما سهيل خوري وعلي أسعد يدج، ظنًّا من أفسر ومَن جاءَ بعدَه، أنَّ مسيحيِّي المشرق العربيِّ وشراكستِه لا ينتمون إلى أُمَّتهم العربيَّة، غافِلين عن ولائهم لأوطانهم وعروبتهم حالُهم حالُ جميع أقرانهم من شتَّى المنابت والأصول والأديان.

غادَرتُ إيران في منتصف عام ١٩٦٤م بعد تحقيقٍ معي في مكتب المخابرات الإيرانيَّة في الأهواز (سازمان أمنيات، ومختصرها السافاك)، ودامَ طَوال أربع وعشرين ساعة، إثرَ شكوكِهم بتَعاوُني مع جبهةِ تحرير عربستان. ولمَّا لم يتمكَّنوا من إثبات ذلك، اقتادوني إلى طَهرانَ مع زَوجتي وابني الذي كان لم يبلُغ بعدُ عامَه الثالث. وبعد ليلةٍ أمضَيناها تحت الحراسة في أحَدِ الفنادق، وَضَعونا على مَتنِ طائرةٍ كانت متَّجهةً إلى بَيروت. عَهدتُ إلى إحسان بشَحْنِ أمتِعَتي وأغراضي الخاصَّة إلى عمَّان. أمَّا هو فَلَمْ يَعُدْ يُطيقُ البَقاءَ دوني، فغادَرَ الأهوازَ طَوعًا بعدي بنَحْوِ شهرٍ ملتَحِقًا بصَوتِ أميركا في واشنطن، بينما التحقْتُ أنا بهيئة الإذاعة البريطانيَّة في لندن.[1]

١) ما زالت شاهنامةُ الفِرْدَوسيِّ وسفرنامةُ ناصر خسرو تُدرَّسُ في مدارس إيران الابتدائيَّة، وفي كلِّيَّاتها وجامِعاتِها حتَّى يَومِنا هذا (المؤلِّف).

هيئة الإذاعة البريطانيَّة

بعد أربع سنوات أمضَيتُها في إيران، انتقلتُ إلى القسم العربيِّ في هيئة الإذاعة البريطانيَّة في لندن الـ بي بي سي (BBC). ورُغم قِصَر المدَّة نسبيًّا التي أمضيتُها فيها- وهي نحو ثلاث سنوات- فإنَّ العملَ فيها أثرى مسيرتي المِهْنيَّة. كان القسمُ العربيُّ في إذاعة لندن أشبَهَ بجامعةِ دُوَلٍ عربيَّةٍ مصغَّرة، انصهرَتْ فيها خبراتُ الكوادر وثقافاتهم من عددٍ كبيرٍ من الأقطار العربيَّة. فمن مصر كان هناك، مثلًا لا حصرًا، صلاح عز الدين، وفاروق الدمرداش، وجورج استيفانوس القبطي؛ ومن العراق الشاعر صلاح نيازي، وأولغا جويدة، ونعيم البصري، مسؤول القسم الموسيقيِّ والغنائيّ؛ ومن لبنان ليلى طنُّوس، ومارون عقيقي؛ ومن السودان الطيِّب صالح، وأحمد بديوي؛ ومن المغرب محمَّد الأزرق؛ ومن ليبيا محمَّد رمضان، الذي اغتيلَ في ما بعد قُربَ مسجد ريجنت پارك في لندن؛ ومن سورية مؤتمن جزَّار، ومروان نقشبندي، الذي كان مذيعًا رغم أنَّه يحملُ شهادة دكتوراه في الفيزياء النُّوَويَّة، واختفى فجأةً ولم يُعرَفْ حتَّى الآن مصيرُه. أمَّا الأردنيُّون فلربَّما شكَّلوا، مع مَن هم من أصولٍ فِلَسطينيَّة، الأغلبيَّةَ الساحقة من المذيعين والمعدِّين والمترجمين ومقدِّمي البرامج، بسبب لهجتهم الأقرب إلى الفُصحى، لا سيَّما من حيثُ سلامةُ نُطْقِ حروفها. فكان هناك سعيد العيسى، وحسن الكرمي، وموسى بشوتي، وسمير مطاوع، ونديم ناصر وزوجته مديحة المدفعي، وفؤاد علم، وماهر عثمان، وسامي حدَّاد، وعدنان الشعلان، وجورج مصري، وحسني العبُّوشي، وجميل عازر، وأكرم صالح، ونبيل حجازي وغيرهم.

لم نكُنْ نعرفُ مَن هو مديرنا في القسم العربيّ، ما عدا منسِّقَ دوام المناوَبات روني آيك (Rony Ike) ومساعدَه محمَّد البيبي. كان الطاقمُ الإداريُّ من شؤون موظَّفين وسكرتيرات وماليَّة وغيرها بريطانيِّين دون شكّ، وكذلك الأخبار فكان

رؤساء تحريرها بريطانيِّين أيضًا، ويمارسون عملهم من غرفة الأخبار المركَزيَّة، فيُوزِّعون الأخبارَ إلى كلِّ قسمٍ كالعربيِّ والفارسيِّ والروسيِّ وغيرها، وذلك وفقَ أهمِّيَّة الأخبار بالنِّسبة إلى جمهور المستمِعين المستهدَفين، فيَنقُلها مترجمون إلى لغة كلِّ قسم، فكثيرًا ما كانت تُكتَبُ باليَد.

أمَّا التكنولوجيا الأولى التي استُخدِمَتْ في نَقْل الأخبار من غرفة التحرير المركَزيَّة إلى الأقسام المختلفة فكانت عبر وضعها في كبسولات تُمرَّرُ عبر أنابيب تُدفَع بالهواء المضغوط، وكان يجري التَّعامُل مع الأخبار العاجلة بالطريقة ذاتها، وكان على مذيع النشرات أن يترجمَها مباشرةً على الهواء فَورَ وُرودِها إليه. وحيث إنَّنا زملاءُ من جنسيَّات عربيَّة وأجنبيَّة؛ ونظرًا إلى احتكاكنا بعضِنا ببعض، سواء في المناوبات أم في اللقاءات في مقصف مبنى بوش هاوس الذي كنَّا نمضي فيه أوقاتًا طويلة، فقد كان لذلك أثرٌ بالغٌ في تعرُّفِ ثقافاتِ كلِّ بلدٍ وعاداته، إضافةً إلى خبراتِ بعضنا بعضًا في مختلف المجالات. تعلَّمتُ من حسن الكرمي وسعيد العيسى الكثير في ما يتعلَّقُ بالأخطاء اللُّغويَّة الشائعة في العربيَّة، كما تعلَّمتُ منهما مخارجَ الحروفِ والنُّطقَ السليم، لا سيَّما أنَّ البثَّ كان يتمُّ في الغالب عبرَ الموجاتِ الإذاعيَّة القصيرة التي تتطلَّبُ ذلك، وتعلَّمتُ كذلك دقَّةَ المواعيد والتَّخطيطَ المسبَّقَ لأيِّ عملٍ، وهي أمورٌ يُشتَهَرُ بها الإنكليز، ولا سيَّما أوقات المناوَبات.

أذكرُ أنَّ أحَدَ مديري الاستوديو، ويدعى روجرز، كان يُمضي وقتَه في أثناء بثِّ برنامج مسجَّل طويل في وَضع خريطةٍ أمامه يغرسُ فيها دبابيس، ثمَّ يمرِّرُ خَيطًا يربطُ ما بين هذه الدبابيس. سألتُه ذاتَ مرَّةٍ عمَّا يفعلُه، فأجابَ بأنَّه يَوَدُّ معرفةَ طول مسافة الرحلة التي سيُمضي إجازته خلالها في بعض أرجاء أوروبا بعد أربعة أشهر، وكم سيكلِّفه ذلك من ثمنِ وقودٍ لمركبته، وكان يُسجِّلُ ذلك في قائمةٍ تضمُّ تقديراتِ التكاليف المختلفة للرحلة!

التلفزيون الأردنيّ

في منتصف شهر أيَّار/مايو من عام ١٩٦٧م، أجرى جلالة الملك الحسين، ترافقُه سموُّ الأميرة منى، زيارةً رسميَّةً إلى بريطانيا. وهنا كلَّفتني الإذاعةُ البريطانيَّة بإعدادِ تقاريرَ صَوتيَّةٍ يوميَّة عن الزيارة لإرسالها إلى الإذاعة الأردنيَّة عبر خطٍّ هاتفيٍّ استُؤجرَ في ساعاتٍ محدَّدة، وكان يربطُ ما بين مكاتب الـ بي بي سي في لندن والمناطق التي شملتْها الزيارة مثل اسكتلندا من جهة، والإذاعة الأردنيَّة من جهةٍ أُخرى. لدى انتهاء الزيارة، استقبَلَني وزير الإعلام المرافق الشريف عبد الحميد شرف ليَشكُرَني على ما أنجزتُه. وأخبرَني بأنَّ تلفزيونًا أردنيًّا سيبدأ البثَّ قريبًا من عمَّان، وبأنَّ مديرَه- ويُدعى محمَّد كمال- موجودٌ في لندن، وحثَّني على مقابلته في الفندق الذي يُقيمُ فيه، علَّني أعملُ فيه أنا ومَن يرغبُ من زملائي الأردنيِّين في الـ بي بي سي.

توجَّهتُ فَورًا إلى فندق پاركلين وقابلتُ محمَّد كمال. سألَني عن الراتب الذي أتقاضاه في عملي مع هيئة الإذاعة البريطانيَّة، فأجبتُ بأنَّه يبلغُ نحو مائتَين وخمسين جنيهًا إسترلينيًّا في الشهر.[٢] قال محمَّد كمال عندما قابلتُه وبالحرف: ''مسخرة. إحنا مندفَع رواتب أكثر''. سرعان ما أبديتُ موافقتي على تَرْكِ لندن والعودة إلى أرض الوطن للعمل هذه المرَّة في محطَّةٍ تَبُثُّ بالصَّوت والصُّورة، وبِراتِبٍ مُغرٍ.

صادفتُ عقبةً هائلة في قبول استقالتي في هيئة الإذاعة البريطانيَّة؛ حيث كان عقدي قد مُدِّدَ لثلاث سنواتٍ أُخرى، ولا يحقُّ لي فسخُ العقد حينها لأنِّي كنتُ قد أمضيتُ سنتَين هما فترةُ الاختبار التي تُتيحُ لكلٍّ طرف فَسْخَ العقد في الوقت

٢) كان ما أدفعُه إيجارًا لطابَق أرضيٍّ شبه مفروش من منزلٍ مكوَّنٍ من طابَقَين في ضاحية فنشلي (Finchly) بلندن خمسة وأربعين جنيهًا شهريًّا (المؤلِّف).

الذي يشاء. ذهبتُ إلى السيِّدة العجوز، مس بيرتون، المديرةِ الإداريَّة، وسقتُ كلَّ ما خطرَ في بالي من أعذارٍ لاضطراري إلى العَودة إلى بلدي. قُبِلَتِ استِقالَتي التي كانت يومَ السادس من حَزيران/يونيو. فعدتُ بعدَها إلى مس بيرتون محاولًا إقناعَها بالعدول عن استقالتي بسبب الحرب التي اندلعَتْ في المنطقة. وتحت إلحاحٍ وشفقةٍ عليَّ، مدَّدَتْ عقدي ثلاثةَ أشهر.

في نهاية شهر آب/أغسطس، غادرتُ لندن عائدًا إلى عمَّان. ولم أحْظَ حتَّى بفرصة مقابَلةِ محمَّد كمال، لأنَّ مشروعَ التلفزيون كان قد تأجَّلَ جرَّاء الحرب. بعد نحو ثلاثة أشهر، عرضتُ قضيَّتي على أحمد الطراونة رئيس ديوان الموظَّفين، الذي اتَّصلَ بِدَوره بمحمَّد كمال، فوافقَ الأخيرُ على التحاقي بالتلفزيون الأردنيّ، الذي كان يتَّخذُ مكتبًا مؤقَّتًا له عند الدوَّار الثالث، وذلك من مطلع عام ١٩٦٨م، ولكنْ براتبٍ مقدارُه ستُّون دينارًا فقط! لم يكُنْ لديَّ خِيارٌ آخر سوى قبولِ العرض.

داومتُ في مبنى التلفزيون في فترته التحضيريَّة. ولما رأى محمَّد كمال قدراتي، ولا سيَّما في تغطية معركة الكرامة ضمن البثِّ التجريبيِّ في ٢١ آذار ١٩٦٨م، منَحَني علاوةَ راتبٍ مقدارُها ٣٠٪، وهكذا بلغَ مجموع راتبي ثمانيةً وسبعين دينارًا. لم تَكُنْ علاقاتي قد توثَّقَتْ بمحمَّد كمال، ربَّما بسبب الجفاء الذي خيَّم عليها إثر مشاجَراتي الدائمة معه منذ عَودتي من لندن، وتحميله الوزر في فقدان وظيفتي مع الـ بي بي سي، ناهيكَ بجهلي مَقدرةَ الرجل وذكاءَه إلى أن بِتُّ أُطلقُ على محمَّد كمال اسم "الموسوعة المتجوِّلة".

في ١٩٦٨/٤/٢٨م، عند افتتاح التلفزيون الأردنيِّ رسميًّا، قدَّمتُ أوَّلَ نشرةِ أخبار من على شاشته، واستمرَّتِ الحالُ بتقديمي نشرة الأخبار الرئيسيَّة يوميًّا ولمدَّةِ ستَّة أشهر متواصلة، قبل أن يلتحقَ بالتلفزيون سمير مطاوع ثمَّ

سامي حدَّاد، وسبق أنْ عملْتُ معهما: حيث عاصرتُ الأوَّلَ في بدايات عملي الإذاعيّ، والثاني في الـ بي بي سي. صار وجهي ونبرة صَوتي مألوفَين، ليس فقط لدى معظم الأردنيِّين، بل أيضًا في دول الجوار التي كان بثُّ التلفزيون الأردنيِّ يصلُ إليها.

أذكرُ أنَّه في زيارةٍ لي إلى دمشق في أواسط ثمانينيَّات القرن الماضي، ذهبتُ إلى سوق الحميديَّة لشراء "طاولة زهر"، حيث يُشتَهَرُ السوريُّون بزخرفَتِها بالصَّدفِ والخشب المصقول. بعد أنِ اخترتُ واحدةً منها، رأيتُ رجلًا ينزلُ على سُلَّمٍ من مكتبه قائلًا: "مو إنت براهيم شهرزاده. عرفتَك من صوتك". أصرَّ الرجل- وكان مالكَ المتجر- أن يقدِّمَها إليَّ هديَّة، ولمَّا رفضْتُ وهمَمْتُ بالانصراف قال: "عليّ الطلاق بالتلاتة غير تقبَلْها هدية منِّي". وما تزال طاولةُ الزهر مَوجودةً لديَّ حتَّى اليوم.

من جهةٍ أُخرى، لم يكن عملي في التلفزيون الأردنيِّ مفروشًا دَوما بالوُرود، لا سيَّما منذ البدايات التي تزامنَتْ مع حروب الاستنزاف التي أعقبَتْ حرب عام ١٩٦٧م، وتعرَّضتُ خلالها وبعدها لكثيرٍ من المخاطر، فقد حظيتُ بأنْ عُهد إليَّ بتَغطيةِ معظم الرِّحلات الملكيَّة وزيارات كبار المسؤولين إلى الخارج، إضافةً إلى تكليفي بتغطية المناسبات المهمَّة.

تسلسَلتُ في الوظائف التي شغلتُها: فبَدءًا من رئيس قسم التبادل الإخباريِّ الذي كان معنيًّا باستقبال الأخبار عبر الأقمار الاصطناعيَّة وبثِّها، وتمثيل التلفزيون في الاتِّحادات الإذاعيَّة والتلفزيونيَّة العربيَّة والدوليَّة، مرورًا بشغلِ منصب رئيسِ دائرةِ الأخبار المركَزيَّة في الإذاعة والتلفزيون بعد دمجهما عام ١٩٨٥م.

بعد ذلك عُيِّنتُ مديرًا للإذاعة ثمَّ التلفزيون، وبعد ذلك مديرًا عامًّا لكلَيهما. ولم يمنعني منصبي من أن أُطلَّ باستمرارٍ من خلال نشرات الأخبار عبر شاشة التلفزيون.

محطَّاتٌ فاصلة

في أواخر ثمانينيَّات القرن الماضي، عُيِّنتُ مديرًا لإذاعة المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة، وقد شكَّلَ هذا التعيين حجرَ زاويةٍ في عملي الإعلاميّ. تزامَنَ ذلك مع القمَّة الثالثة لمجلس التَّعاوُن العربيّ، الذي كان يضمُّ الأردنَّ ومِصْرَ والعراق واليمن الشماليّ. عُقدَتْ تلك القمَّة في عمَّان في شباط /فبراير من عام ١٩٩٠م بعدَ قِمَّتَي الإسكندريَّة وصنعاء. ورغمَ أنَّ ديباجة قادة دول المجلس ومحاضر الاجتماعات لم تتطرَّقْ إلى أمورٍ ذاتِ طابع عسكريّ- ما عدا مصطلح الأمن القوميّ- فقد تطرَّقَتْ قمَّةُ عمَّان إلى فكرةِ إقامةِ ما اصطُلحَ على تسمِيَته بالفَيلق العربيِّ حفاظًا على أمن الدُّوَل الأعضاء من أيِّ تهديدٍ خارجيّ. لم تَبدِ مِصْر حماسةً لهذا الأمر، ويبدو أنَّ الرئيسَ المِصْريَّ محمَّد حسني مبارك لم يكتفِ فقط بإبلاغ السعوديَّة عن الفَيلق المقترَح، بل اجتهدَ- أو أُوحِيَ إليه من أطرافٍ خارجيَّة- أنَّ دولَ الخليج العربيِّ هي المستهدفةُ من الفَيلق العربيّ، الأمر الذي جعلَ السعوديَّة تتَّصل بقطر محذِّرةً من خطورة الأمر.[٣]

كان لإذاعة المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة إبَّان عاصفة الصحراء، التي أعقبَتِ الاجتياحَ العراقيَّ للكُوَيت، دورٌ مميَّزٌ راعَيتُ فيه، بصفتي مديرَها، الحياديَّة التامَّة بشأن ما كان يجري في تلك الحرب التي شاركَتْ فيها قوَّاتٌ عربيَّةٌ مثل مِصْرَ وسورية وغيرهما. وكانت الإذاعةُ الأردنيَّة هي الأكثرَ استماعًا بحسب تصنيف أكبرِ دُورِ استطلاع الرأي في عالم الإذاعات الناطقة بالعربيَّة مثل الـ بي بي سي وصوت أميركا، وذلك رغم عدم وُجودِ مراسِلين لنا، لا في حفر الباطن في السعوديَّة ولا في بغداد. كنَّا ننقُلُ وجهةَ نظرِ الطَّرفَين بتَجرُّدٍ كامل، بعد أن نحذفَ بالتأكيد العبارات النابِية التي كانت تتخلَّلُ البيانات العراقيَّة، ونستَضيفُ كبارَ المعلِّقين

٣) هناك تسجيلٌ لهذا الاتِّصال الهاتفيِّ في الإذاعة الأردنيَّة، وقد بُثَّ إبَّان حرب الخليج الثانية (المؤلِّف).

والمحلِّلين السياسيِّين العرب والأجانب من كافَّة الاتِّجاهات. خلالَ هذه الحرب، دُفِنَ مجلسُ التعاوُنِ العربيِّ بعد أنِ انتقَدَ الرئيسُ مبارك بشدَّةٍ المجلسَ واصِفًا إيَّاه بأنَّه أُسِّسَ في الأصل للاستيلاء على الكُوَيت والنَّفط العربيّ.

وأذكرُ أنَّه في الساعة الرابعة والنصف من فجر الثاني من آب/أغسطس من عام ١٩٩٠م اتَّصلَ بي هاتفيًّا مُناوبُ قسم الرَّصد في الإذاعة ليُخبرَني بنبأ عاجل وردَ للتَّوّ: اجتياح قوَّاتٍ عراقيَّة للكُوَيت. اتَّصلتُ بِدَوري بعدنان أبو عودة رئيسِ الديوان الملكيِّ وأبلغتُه النَّبأ. كان أوَّلَ ما قالَه لي: "الله لا يعوضو"، ويَقصِدُ صدَّام حسين. علمتُ لاحقًا أنَّ أبو عودة اتَّصلَ من جانبه بالملك الحسين لإبلاغه نبأَ الاجتياح العراقيّ، فقال له الحسين إنَّه يعلَمُ ذلك؛ إذ كان قد تلقَّى في ساعةٍ مبكِّرةٍ من ذلك اليوم اتِّصالًا هاتفيًّا من الملك فهد عاهل السعودية يُعلِمُه بالأمر.

وفي الرابع من آب/أغسطس ١٩٩٠م، توجَّهَ الحسين في زيارةٍ سريعةٍ إلى بغداد، وتمكَّنَ من إقناع الرئيس العراقيِّ صدَّام حسين بسَحْب قوَّاته من الكُوَيت، وحينها اشترطَ الرئيسُ العراقيُّ عدم اتِّخاذ وزراء الخارجيَّة العرب مَوقفًا يَدينُ العراق. وكان وزراء الخارجيَّة يعقدون اجتماعًا طارئًا في مقرِّ جامعة الدول العربيَّة في القاهرة. وعند عَودة الملك إلى عمَّان، اتَّصلَ فَورًا بِوَزير الخارجيَّة مروان القاسم، الذي كان يحضرُ اجتماع وزراء الخارجيَّة ذاك، وطلبَ إليه أنْ يُبلغَ زملاءَه باستعداد صدَّام حسين سَحْبَ قوَّاته بالشَّرط الذي وضعَه، وهو عدم الإدانة. كتبَ القاسمُ على وُريقةٍ بِيَده اليُسرى التي يستخدمها ملاحظةً سريعةً ومرَّرَها إلى الأمين العامِّ للجامعة أحمد عصمت عبد المجيد، الذي ما إنْ قرأها حتَّى تجاهَلَها ووضَعَها تحت بيانِ إدانةٍ كان قد أُعدَّ مسبَّقًا، وتُلِيَ على الفَور.

في العاشر من الشهر ذاته، عُقِدَتِ القمَّة العربيَّة الطارئة في القاهرة، وكان بيانُها الختاميُّ موزَّعًا أمام الرؤساء حتَّى قبل أن يأخُذوا أماكِنَهم داخل القاعة.

وممَّا كنَّا نتندَّرُ حولَ بيانِ شَجبِ الاجتياح العراقيِّ للكُوَيت أنَّه كان مترجَمًا بلُغةٍ ركيكةٍ من لغةٍ أجنبيَّة! ويُذكَرُ في هذا المقام أنَّ الرئيسَ الليبيَّ معمَّر القذَّافي مزَّقَ البيانَ بعد أن ألقى نظرةً سريعةً عليه ورماه أرضًا.

نقلَ التلفزيونُ الأردنيُّ، كما نقَلْنا نحن في الإذاعة، وقائعَ القمَّة التي اقتصرَتْ على جلسةٍ واحدة وكانت علنيَّةً في معظمها. ممَّا قالَه جلالةُ الحسين في كلمته الارتجاليَّة في تلك القمَّة: "لم أعِدَّ كلمةً بهذه المناسبة، ولكنَّ الأخطار والمشاعر التي تَنتابُني، ولا سيَّما في هذه المرحلة، أحسبُها أخطرَ ما واجَهَتْه الأمَّةُ العربيَّةُ حتَّى الآن". وشدَّتِ انتباهَنا فِقراتٌ عديدة في تلك الكلمة منها : "في اعتقادي أنَّ هناك أخطارًا قديمةً وحديثةً تجابهُنا، وفي طليعَتِها الحركةُ الصِّهْيَونيَّة، واحتلالُ فِلَسطينَ كاملةٍ وأراضٍ عربيَّةٍ أُخرى، والتأثيرُ الصِّهْيَونيُّ على صُنَّاع القرارات وتخطيط السياسات في العالم. تمنَّيتُ أن ينظرَ إخواني بإمكاناتهم المادِّيَّة في اقتناء السلاح ليس تَوَجُّسًا من شقيق، ولكنْ ضمنَ نظرةٍ واسعةٍ إلى الوطن الكبير والدفاع عنه". علَّقْتُ أمام زملائي، عند سماع تلك الفِقرة قائلًا إنِّي أجزمُ أنَّه كان يشيرُ بطريقةٍ غير مباشرة إلى ما قامَ به الرئيسُ محمَّد حسني مبارك إثرَ اجتماع رؤساء مجلس التعاون العربيِّ في عمَّان، من إبلاغ السعوديَّة حولَ ما ادَّعاه من غايةِ إنشاء الفَيلَق العربيّ.

وممَّا قالَه الحسينُ أيضًا في تلك الكلمة :"هناك حقائقُ منها أنَّ العراقَ أمضى أعوامًا يدافعُ عن النِّظام العربيّ، ويقدِّمُ الشُّهَداءَ لحماية الوطن العربيِّ من الخطر، وهذا جميلٌ يجب ألَّا ننساه". وتابعَ جلالتُه القَول: "هنالك مأساةٌ نعيشُها الآن وتَضعُنا أمام امتحانٍ صعبٍ لا نعرفُ إذا كنَّا سننجحُ في اجتيازه أم لا. هل يمكننا أن نتصدَّى للمَهَمَّة ونحلَّ قضايانا بأنفسنا، أم هناك عزمٌ على أن نخرجَ من هنا بالفشل ونقول للعالم إنَّنا لسنا مؤهَّلين لمعالجة مشكلاتنا؟ يجب أن نجيب عن هذا السؤال بصراحة".

أنظرُ إلى واقِعِنا الآن وما زالتْ كلمةُ جلالته الارتجاليَّة ترنُّ في أذني، ولا سيَّما عندما قال: ''كان لي شرفُ تَعريبِ قيادة الجيش الأردنيّ، ثمَّ جاءَ تحريرُ قناة السويس، فهل نعودُ لنَقولَ للعالم إنَّنا أعجَزُ عن حلِّ مشكلاتنا، ونسهِّلُ لهذا العالم أن يعودَ فَيُسيطرَ علينا؟ يجب تأمين الحلِّ العربيِّ قبل أن تَفوتَ الفرصة''. لا يختلف شخصان موضوعيَّان على حكمة الحسين وبُعد نظره في تلك المرحلة العصيبة من عمر الأمَّة. وبعد شهور من ذلك، انتقلتُ إلى مرحلةٍ مهنيَّةٍ جديدة.

ففي منتصف عام ١٩٩١م، كانت المحطَّةُ التاليةُ في عملي الإعلاميِّ حيث نُقلتُ من مديرٍ للإذاعة إلى مديرٍ للتِّلفزيون. وحصلَ ذلك في أثناء اجتماع للإعلاميِّين عُقِد في الديوان الملكيِّ دعا إليه جلالة الملك الحسين، وتَناوَلَ فيه الوَضْعَ الداخليَّ وأوضاعَ المنطقة في أعقابِ عاصفة الصحراء وما أسفرَ عنها من نتائج وتداعيات، لا سيَّما على الأردنّ. بعد انتهاء الاجتماع، استَوقَفني جلالتُه قائلًا: ''أحبُّ أن أُثني على الدَّور المميَّز الذي تقومون به في الإذاعة من حيثُ البرامجُ والأخبار''، وكان برفقتي مديرُ أخبار الإذاعة عبد الحميد المجالي، وأضافَ الحسين قائلًا: ''بعكس التلفزيون''، الذي وصفه بالمقصِّر في الأداء. التقَطَ رئيس الديوان الملكيِّ الشريف زيد بن شاكر ووزير الإعلام الدكتور خالد الكركي هذه الإشادة- أو الإشارة- فنُقلتُ بعد أيَّامٍ من مديرٍ للإذاعة إلى مديرٍ للتلفزيون.

تزامَنَ ذلك مع التَّحضير لمؤتمر مدريد للسَّلام. كنتُ أُدعى لحضور اجتماعاتِ عصفٍ ذهنيٍّ كانت تُعقَدُ في غرفةٍ صغيرةٍ في مكتب الأميرة غَيداء طلال في مبنى الدائرة الإداريَّة في الديوان الملكي، يرأسُها الحسين ويحضرُها في العادة الأمير طلال بن محمَّد، والأميرة غيداء، وعدنان أبو عودة المستشار السياسيُّ للملك، رئيس الديوان الملكيّ، إضافةً إلى عددٍ متغيِّر من السياسيِّين والمفكِّرين والإعلاميِّين أمثال خالد الكركي وكامل أبو جابر ومصطفى حمارنة

ومروان المعشِّر وراضي الخص وغيرهم. كان الحديثُ ينصبُّ في معظمه على مؤتمر مدريد وما يمكنُ أن ينجمَ عنه بعد ما سبقه، والذي عُرفَ بمحادَثات ستوكهولم وأوسلو بين منظَّمة التحرير الفِلَسطينيَّة ومسؤولين إسرائيليِّين ما بين عامَي ١٩٨٨ و١٩٩٠م.

كنَّا نتطرَّقُ في تلك الاجتماعات، إضافةً إلى ما قد ينجمُ عن مؤتمر مدريد، إلى مواضيعَ شتَّى وتأثيراتها في المجتمع، وكانت تُربَط الأحداثُ بعضها ببعضٍ على مرِّ التاريخ الحديث بهدف استِخْلاص العِبَر. جرى في أحَد الاجتماعات الحديثُ بشأن حرب ١٩٦٧م، وخِشية القيادة الأردنيَّة من اتِّهامها بالتسبُّب في الهزيمة لو لم تشارك في الحرب، وقد كانت شبهَ واثقةٍ بأنَّها حربٌ خاسرة؛ إذ إنَّ الغربَ لن يقفَ مكتوفَ الأيدي، بل سيقدِّم كافَّة أصناف الدَّعم إلى إسرائيل. تطرَّقَ الحسين في ذلك الاجتماع إلى مقولة: "كنَّا ننتظرهم من الشرق، فجاءونا من الغرب"، وتساءَلَ جلالتُه: "كيف لم تتَّخذِ القيادةُ المِصريَّة، ذاتُ الخلفيَّة العسكريَّة، العِبرةَ من خطِّ ماجينو الذي أقامَه الفرنسيُّون في وَجهِ الألمان إبَّان الحرب العالميَّة الثانية، فجاءَهم الجيشُ النازيُّ من الشمال عبر هولندا وبلجيكا، بدلَ أن يأتيَهم من الشرق؟".

في أواسط عام ١٩٩٤م، عُيِّنتُ مستَشارًا لمؤسَّسة الإذاعة والتلفزيون، ولمَّا لم أُستَشَرْ فضَّلتُ إحالةَ نفسي على التَّقاعُد. وعند استقالة حكومة الدكتور فايز الطراونة، آخرِ رئيسِ وزراء في عهد الحسين، زرتُه في منزله بصُحبةِ صديقٍ مشتركٍ هو عدنان العواملة فقال لي: "عندما كُلِّفتُ بتَشكيل الحكومة عام ١٩٩٨م، عرضتُ على جلالته وهو في مايو كلينيك قائمةَ الوُزراء الذين اخترتُهم، فقال لي: «لا أُريدُ أن أطَّلعَ على أسمائهم. اخترْ أنتَ الفريقَ الذي تَثِقُ به». ثمَّ قلتُ له: هنالك بعض المناصِبِ القياديَّة التي ستصيرُ شاغرةً في التشكيل، فقالَ لي

جلالته: «عيِّن مَن تَشاء، ولكنْ أُريدُ أن يتولَّى إبراهيم شاهزاده منصبَ المدير العامِّ لمؤسَّسة الإذاعة والتلفزيون، وأن يَلقى منكَ شخصيًّا العنايةَ والرعاية»، ولم يَذكُرْ رَحمَه الله أيَّ شخصٍ بالاسم إلَّا أنت". علمتُ عندها فقط لماذا كان أوَّلَ قرارٍ اتَّخذَه مجلس الوزراء في حكومة الطراونة، هو تعييني مديرًا عامًّا لهذا الجهاز الإعلاميّ، ولم أبقَ في هذا المنصب مدَّةً طويلةً بعد رحيل الحسين، إذ قدَّمتُ استقالتي في العشرين من شهر نيسان/أبريل من عام ١٩٩٩م، بعد أن شعرتُ بفقدان سندي، وحتَّى لا أعطي أيَّ مسؤول ترفَ إقالتي من منصبي. وحسنًا فعلتُ؛ حيثُ وردني مغلَّف في نهاية الشهر شُطبَت منه كلمة "عطوفة"، وفيه راتبي عن عشرين يومًا فقط!

اجتماع المجلس التنفيذيِّ لاتِّحاد إذاعات الدول الأوروبيَّة عام ١٩٧٧م.

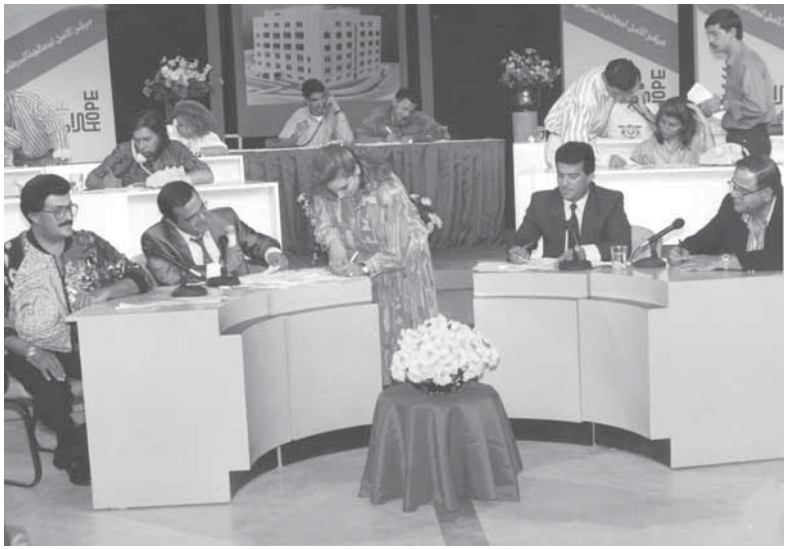

من برنامج تيلي ثون لنصرة كوسوفو. يظهر أقصى اليسار الفنَّان المصريُّ سمير غانم.

مع الإعلاميِّ المصريِّ حمدي قنديل في توغو عام ١٩٧٧م.

مقابلة مع الرئيس الفرنسيِّ جاك شيراك إثر لقائه جلالة الحسين.

في زيارة رسميَّة إلى الهند.

مع الرئيس الأميركيِّ الأسبق جيمي كارتر بداية التسعينيَّات.

لجنة الأخبار التابعة لاتِّحاد الدول الأوروبيَّة- أمستردام عام ١٩٨٤م حيث انتُخِب المؤلِّف نائبًا للرئيس.

لقطة من استوديو التلفزيون.

لجنة الأخبار التابعة لاتّحاد الدول الأوروبيَّة- اجتماع العقبة عام ١٩٨٦م.

بمعيَّة معالي عدنان أبو عودة وزير الإعلام الأسبق في مؤتمر وزراء إعلام دول عدم الانحياز، توغو عام ١٩٧٧م.

المؤلِّف مديرًا عامًّا لمؤسَّسة الإذاعة والتلفزيون،
١٩٩٨-٢٠٠٠م.